

المجتمع والفكر في اليمن القديم

بقلم

د / السعيد شلالقة (*)



ملخص

يعتبر المجتمع اليمني القديم من أبرز مجتمعات شبه الجزيرة العربية القديمة مكانة حضارية، حيث عرفت تركيبته الاجتماعية تنوع في مكوناته الهرمية، مما ساهم في وجود الكثير من الأفكار التي أدت إلى نتاج حضاري راق تجلت مظاهره على سبيل المثال لا الحصر في الفكر السياسي، ولإبراز ذلك التطور أ طرح الإشكاليات الآتية:

1 - فيما تمثل التركيبة الهرمية للمجتمع اليمني القديم ؟

2 - كيف أثرت البيئة في تكوين المجتمع ؟

3 - أين تكمن مظاهر الفكر السياسي في المجتمع اليمني ؟

الكلمات المفتاحية: اليمن، التاريخ القديم، الحضارة العربية، الفكر السياسي، المجتمع.

مقدمة

لقد كان للطبيعة الجغرافية لليمن القديم أثر كبير وفعال في طبع الحضارة اليمنية القديمة بطابع خاص ومميز، بل إنه يصعب معرفة التنظيمات الاجتماعية التي عرفها اليمن القديم بمعزل عن معرفة الطبيعة التضاريسية التي تميز بها في تراكيب جغرافية متنوعة، شملت جبالا تعيش على الأمطار الموسمية، وسهولا وأودية وهضابا ذات خصوبة عالية. ذلك التنوع انعكس على تنوع المناخ والمحاصيل الزراعية الوفيرة مما حقق اكتفاء ذاتيا لسكان المنطقة¹.

1/ المجتمع اليمني القديم: رغم العلاقة المؤثرة بين الطبيعة والمجتمع اليمني القديم إلا أنه يمكن دراسة هذا المجتمع في مرتكزاته الأساسية، وإبراز الصورة الاجتماعية اليمنية القديمة

(*) أستاذ محاضر "ب" بقسم العلوم الإنسانية - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الوادي.

بوضوح مما يساعد على فهم هذه التركيبة الاجتماعية وذلك وفق العناصر الآتية :

1- السكان: يعتبر أهل اليمن ذوي أصول عربية، وأنهم أول من تكلم باللغة العربية أو اللسان العربي ويتنسبون إلى ولد سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان، وأنهم من العرب العاربة. ومنطقة جنوب شبه الجزيرة العربية شهدت استقرارا سكانيا هاما منذ عصور قديمة لتوفر عوامل هذا الاستقرار من جغرافية ومناخية خصوصا، حيث مكنت القبائل الجنوبية من تأسيس حضارة راقية قطعت أشواطاً هامة من التقدم².

وتتجلى العوامل المساعدة لسكان اليمن القديم في تأسيس مجتمع حضاري وأمة راقية ومتميزة عن مجتمعات شبه الجزيرة العربية آنذاك في الأسس الآتية:

- الموقع الجغرافي: تتمتع اليمن بموقع استراتيجي وحيوي، حيث تشرف على ثلاث مسطحات مائية، من الشرق الخليج العربي، ومن الغرب بحر القلزم (البحر الأحمر)، ومن الجنوب المحيط الهندي. وبذلك شكلت ممرا طبيعيا بين الجهة الشمالية، ومنطقة القرن الإفريقي أي همزة وصل بين إفريقيا وآسيا بواسطة باب المندب جنوبا، والبحر الأحمر أو القلزم بمصر القديمة. وقد ساعد هذا الموقع بالتواصل مع بلاد فارس وبلدان الشرق الأقصى، كما ظلت اليمن معبرا برياً وبحرياً تربطها مع دول الجوار الجغرافي اجتماعيا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وثقافيا³.

- المناخ: ساعد المناخ اليمني القديم على النشوء الحضاري المبكر، فهي أحد الأجزاء الحضارية في شبه الجزيرة العربية، تقع في القسم الجنوبي من المنطقة، وهي جزء من منطقة النشء الحضاري القديم الواقعة بين خطي طول 10 إلى 70 درجة شرقا، وخطي عرض 10 إلى 45 درجة شمالا، وتشمل من الشرق إلى الغرب كل من إيران ووادي رافدين وآسيا الصغرى وسوريا وبلاد الشام، وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية، ومصر وقرطاجة وشبه الجزيرة الأيبيرية (اسبانيا والبرتغال)، وبلاد اليونان وشبه الجزيرة الإيطالية، وعدد من الجزر الواقعة في البحر الأحمر وجزيرة كريت⁴. وقد شكلت البيئة المناخية الملائمة لفترات طويلة على خلق بيئة مشجعة للاستقرار والنشاط البشري، حيث أن منطقة اليمن كانت تقع في وسط الظروف الجغرافية القاسية سواء بسبب الزحف الجليدي في المناطق الشمالية أو بسبب المطول المستمر للأمطار الغزيرة في المنطقة الاستوائية، وهكذا تمتع بمناخ معتدل نسبيا لا يعوق النشاط الإيجابي للجهد البشري. ومن هنا وقع الحوار بين الإنسان والظروف الطبيعية المحيطة به، تغلب على صعوباتها تارة واستقى بميزاتها تارة أخرى، ومن هنا كانت الإنجازات الحضارية الأولى.

- طرق المواصلات : التواصل مع دول الجوار الجغرافي بواسطة شبكة من الطرق البرية الرئيسية نجد الطريق الرابط بين اليمن وبلاد الحجاز (مكة)، والطريق الرابط بين اليمن وبلاد الرافدين، وطريق نجد والمنطقة الشمالية الشرقية، وكذلك الطريق المتصل بين اليمن والمنطقة الشرقية. بالإضافة إلى التقارب عن طريق الشواطئ المطلّة عن قارتي إفريقيا وآسيا مع بلاد فارس غربا ومصر شرقا وبلاد البونت جنوبا⁵.

ساهمت الطرق البرية والبحرية المتنوعة الاتجاهات في تواصل أهل اليمن القديم مع شعوب مناطق الجوار الجغرافي وبقيّة دول العالم القديم، الأمر الذي ترتّب عنه حدوث عملية تأثير وتأثر مباشرة في مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والدينية والثقافية والفكرية، وقد استفاد اليمنيين القدامى من هذا الاحتكاك وأسهموا في تطويره وفقا للمنظور اليمني القديم وخدمة للتنمية الحضارية في منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية آنذاك.

- الأسس الاقتصادية: أدت الظروف المناخية الملائمة وغزارة الأمطار في العصور القديمة إلى انتشار الزراعة، حيث أنتج الكثير من المحاصيل الزراعية أهمها: الحبوب كالقمح والشعير والبقوليات، والخضر والأشجار المثمرة المختلفة كالسّاتين والنخيل، واللّبان والتوابل والبخور، والطيوب والمر والقرفة والمستكة⁶.

لقد اشتهرت المنطقة بالكثير من الصناعات المعدنية والزجاجية والعطرية والفخارية والخشبية الحجرية والمنزلية وغيرها، كما نالت المنطقة قدما مكانة تجارية عالمية لقرون عديدة بفضل موقعها الجغرافي وهيمنتها على الكثير من المحاصيل الزراعية، وفرض نفوذها على الممرات التجارية البرية والبحرية، وأصبح أهلها أصحاب قوة وثروة وثراء شهد به الكتاب القدماء من الإغريق والرومان وذكرها أهلها والعرب في أشعارهم القديمة.

2- الأسرة والقبيلة :

ومجتمع جنوب شبه الجزيرة العربية زراعي بدرجة الأولى، حيث اشتهر بالزراعة وبناء السدود، ومن أبرزها سد مأرب، ولا شك أن المجتمع الزراعي ذورقي حضاري، كما أنه مستقر مرتبط بالأرض ويدافع عنها ويموت من أجلها. وكانت الأسرة النواة الرئيسية والوحدة الأساسية للمجتمع⁷.

وبعد الأسرة تبرز القبيلة التي تعد المكون الأساسي والقاعدة المتينة للمجتمع اليمني القديم، ويذهب أحد الباحثين إلى أن القبيلة بحكم أنها تتكون من جماعات صغيرة تعيش في قرى فقد

أصبح وضعها أي القبيلة يتوسط الدولة والقرية، فجمع الضرائب في مملكة سبأ كانت تتولاها القبيلة، وأن أرض الدولة أو المعبد كانت تؤجر أحياناً للقبيلة وتصبح القبيلة مسؤولة مسؤولية كاملة أمام الدولة والملك عن ذلك الإيجار. ويحكم القبيلة عقلاؤها ومشايخها وأعيانها، وقد كشفت بعض النقوش القتبانية والسبائية عن وجود مجلس قبلي يسمى (عهر) و(عهر) ويعني "سادة" وجاءت مرتبطة بدولة أو قبيلة "فيشان" أي (عهر) فيشان) بمعنى قبيلة فيشان، ويناقش في هذا المجلس أعيان ووجهاء القبيلة ما يتعلق بأمور قبيلتهم⁸.

كما عرف المجتمع العربي تنظيم اجتماعي هو "الشعب"، وأقدم ذكر للفظه الشعب جاء من نقش النصر (RE 5394) الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، ويشكل هذا التنظيم عادة إما بفعل توحد عدد من تلك الجماعات (البيت)، أو نتيجة لاتحاد مجموعة قبائل مكونة شعوباً (اتحاد قبلي) والشعب قد يكون سكان قرية أو قبيلة أو فئة من فئات المجتمع، كأصحاب حرفة واحدة مثلاً، فالرابطة التي تربط الشعب هي رابطة المصالح الاقتصادية المشتركة. وعندما يبرز الشعب لأسباب سياسية واقتصادية أو لقوة عسكرية ويحزب هيمنته على مجموعة من الشعوب المجاورة يؤدي هذا إلى نشوء تجمع اجتماعي جديد، وعلى أساس ذلك الاتحاد (الاندماج) الطوعي أو القسري لعدة قبائل (شعوب) تنشأ المدينة (هجر) كمركز للقبيلة أو الاتحاد بعد أن يتوفر بالمدينة المنشآت الأساسية مثل: المعبد والقصر ومصادر المياه⁹.

3- أسس تماسك وانقسام المجتمع: إذا نظرنا إلى مجتمعات الحضرة التي تظهر على أوصحها في التكوينات السياسية الكبيرة مثلما كان موجوداً في القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية حيث تزدهر الزراعة والصناعة والتعدين والتجارة إلى وجود عاملين أساسيين هما: عوامل التماسك والانقسام الطبقي. - عوامل التماسك: ساعد وجودها في زيادة قوة الترابط الاجتماعي داخل المجتمع اليمني القديم، وفي هذا المجال يبدو أن فكرة الملكية الجماعية (الامتلاك الجماعي) كانت معروفة في المنطقة بين أفراد الأسرة الواحدة على الأقل، ويشير إلى ذلك سترابو أن السيطرة على هذه الأملاك الجماعية كانت في يد الأخ الأكبر، وذكر بيليوس عن ملكية جماعية بين ثلاثة آلاف أسرة لجمع أشجار الطيوب الموجودة في دول الجنوب ولحق الاتجار في نتاج هذه الأشجار، ويضيف قائلاً: "إن مجموعات من هذه الأسر تتناوب هذا الانتفاع من سنة إلى سنة، وأن هناك من يقول أن أرباح التناوب تقسم على كل الأسر سنوياً". وبناء على ذلك ففكرة الملكية الجماعية والانتفاع الجماعي حسب تنظيم أو آخر قائمة في الحالتين. ونجد هذه النزعة نحو الملكية الجماعية

في عدد من النقوش العربية الجنوبية التي تشير بعضها إلى جمعيات زراعية وكان يترأسها مجلس إدارة متكون من ثمانية أشخاص يقومون على إدارتها والإشراف على العمل من تهيئة البذور إلى دفع الحصاص وجمع الضرائب، ومن خزن وتسويق وبيع¹⁰.

- الانقسام الطبقي: يجمع أغلب الباحثين أن المجتمع اليمني القديم متكون من عدة طبقات، وقد أشار إلى هذا التقسيم المؤرخ الروماني سترابون الذي عاصر الحملة الرومانية على اليمن في الرابعة والعشرين قبل الميلاد، وهذه الطبقات هي:

* الطبقة الأولى: وتضم الملوك ورجال البلاط ورجال الدين والقادة العسكريين أو قادة الجيش وكبار الحكام وسادة القبائل، وهم المتمتعون بالامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

* الطبقة الثانية: يشكلون الأغلبية، وهم لا يملكون من الأرض إلا المساحات الصغيرة.

* الطبقة الثالثة: وهي الأدنى منزلة في المجتمع اليمني القديم، وتتكون من الحرفيين والصناع والعييد وهي جماعات محتكرة بحكم ممارسة حرف ومهن محتقرة آنذاك، وهي نظرة العالم وقتها لهذه المهن والحرف وممتنهيها، ثم الطبقات الدنيا من عوام الناس والرفيق والموالي¹¹.

ونلمس هذا الانقسام الطبقي من شاهد وهو الكتاب اليوناني أرتميدوروس حيث يذكر لنا في مجال حديثه عن السبئيين أن: "الملك ومن حوله يعيشون في بذخ أنثوي". ويتحدث عن الطبقة الثرية من السبئيين والجرهائين أنهم يتفنون في الأواني المصنوعة من الذهب والفضة المرصعة بالأحجار الكريمة وأن وظائف الدولة قاصرة على أولاد الملوك. مما يدل أن منصب الملك كان بالتناوب بين أفراد الطبقة الأرستقراطية، وهذا يعني أن وظائف الدولة هي الأخرى حكرا على هذه الطبقة. كما نجد تقسيميا في مجتمع العربية الجنوبية أواخر القرن الأول قبل الميلاد وأوائل القرن الأول الميلادي تصنف المجتمع إلى فئات لها طابع طبقي، إلى فلاحين وحرفيين وعاملين في جمع المر واللبن. ولا يمكن أن يغير فيه أحد مهنته ليتقل من فئة إلى أخرى، ومن ثم فهو يكرس الطبقة في صورة حادة ومستمرة في الوقت ذاته وأن طبقة أصحاب الحرف أو من كانوا يعملون بالأجر ينظر إليهم على أنهم يمارسون عملا متدنيا، رغم حاجة المجتمع إليهم¹².

مما سبق كان المجتمع العربي السبئي والمعيني كغيره من مجتمعات جنوب شبه الجزيرة العربية مجتمعا هرميا متدرجا، ففي القمة القبيلة ترتبط برابطة الأبوة أو رابطة الدم، وهو الأهم في النظام الاجتماعي. والتباين الطبقي هو أوضح من يكون في اليمن، لأن الطبيعة وهبت أرض اليمن

خيرات وجنات، نتيجة لذلك ظهر الإقطاع واشتدت الحاجة إلى الرقيق لاستغلال الأرض والشغل في المهن الوضيعة، كما عرف المجتمع الجنوبي طبقة الأشراف والأغنياء وهم سادة القوم وأصحاب المنزل والمكانة في المجتمع ويعد أعضاء الأسرة المالكة بالجنوب في طبقة السادات والأشراف، تلي هذه الأسر الإقطاعيين الكبار ويليهم وجوه المجتمع وسادة القبائل وقادة الجيش المقربين إلى الملوك. ومن طبقات المجتمع الدنيا عند العرب الجنوبيين : الصغار، والأجراء الذين يشتغلون في أراضي الإقطاعيين، ويكونون تبعاً لهم، وتعرف بطبقة التبعية¹³.

كما نجد طبقة العبيد أو الرقيق، وهي الطبقة الأخيرة في التنظيم الاجتماعي، وكان عددهم يختلف من الرقيق الأبيض والأسود، ويزداد عددهم خاصة أنها تجارة رابحة آنذاك، ويحتاجونهم كأيدي عاملة خاصة لدى طبقة الأشراف الذين ترفعوا عن ممارسة العمل بأنفسهم لما نالوه من حظ وافر في الثروة، وما أصابوه من حياة الترف المختلفة¹⁴. وكانت تؤلف طبقة كبيرة في المجتمع العربي، والرقيق الأبيض أو الأسود يشترون من الأسواق أو يجلب من أسرى الحرب، وطبقة العبيد محرومة الامتيازات، بل كانت فئة مثقلة بالواجبات نحو أسيادها، وكان يوكل إليهم الأعمال التي يأنف منها العرب، كالرعي والحدادة والحجامة والنجارة، وكان بإمكان العبد أن يعتق إذا قام بخدمة عظيمة لسيده تبرر عتقه وتحريره. وقد أدى اختلاط العرب بالفرس والروم والأحباش إلى التأثير والتأثر فيما بينهم¹⁵.

وقد ظهرت آثار هذا التقسيم الطبقي الواضح سواء بموجب قوانين رسمية، أو كان نتيجة للممارسة الفعلية للطبقات الموجودة في المجتمع، أو كان سببه تصور يؤدي إلى نظرة استعلائية إزاء إحدى الفئات أو الطبقات وكانت محصلة هذه الآثار المترتبة عن التقسيم الطبقي وجود طبقة متضررة تعبر عن معارضتها للأوضاع القائمة بأكثر من وسيلة، ففي منطقة العربية الجنوبية نسمع من النقوش التي عثر عليها المنقبون الأثريون عن جماعات من المزارعين تهرب من الأرض وتلجأ إلى المدن بكل ما يترتب على هذا من إلحاق الضرر بالزراعة والمحاصيل، وذلك رغم تشديد الحكومات على منع الهجرة وترك المزارع دون موافقة أصحاب الأراضي الزراعية¹⁶.

من خلال الدراسة الاجتماعية الخاصة بالمجتمع اليمني القديم استنتج الملاحظات الآتية :
- المجتمع اليمني مجتمع طبقي صريح التمييز بين فئاته الاجتماعية المكونة له أثناء عصوره القديمة حيث تتكون من طبقتين أساسيتين هما:

* الطبقة العليا المسيطرة : يرأسها الملك وأسرته، وتحتل المرتبة الأعلى في السلم الاجتماعي،

يليه كبار الإقطاعيين وقادة الجيش وحكام الأقاليم ورؤساء القبائل ثم رجال الدين والأشراف والأغنياء. ويتمتعون بامتيازات كبرى في مختلف المجالات العامة.

* الطبقة الدنيا المستغلة: تشكل غالبية المجتمع اليمني القديم، وهي من عوام الناس، يمتلكون أراضي صغيرة وقليلة، ودور بسيطة تعبر عن مستواهم الاجتماعي وهم صغار القوم، إلى جانبهم أصحاب الحرف المتنوعة والأجراء، وأصحابها محقرين اجتماعياً رغم دورهم الحيوي داخل المجتمع، امتيازاتهم قليلة مقارنة بالطبقة العليا المسيطرة، كما نجد الفئة المحقرة المتمثلة في فئة العبيد المنعقدة بالامتيازات، والأقل مكانة من الفئات السابقة المكونة للطبقة الدنيا المستغلة.

- اعتماد التقسيم الطبقي داخل المجتمع اليمني القديم على أساس التأثيرات الطبيعية بمعنى أن العوامل الطبيعية ساهمت في إيجاد التمايز الطبقي حسب الإمكانات التي وفرتها البيئة اليمنية القديمة، حيث حظي أهل بعض المناطق بوفرة الإنتاج والثروة، وعليه كان المال مقياساً اجتماعياً لأصحابها، وحتى وقتنا الحاضر.

- ساهم النشاط الاقتصادي بجنوب شبه الجزيرة العربية في إيجاد الفوارق الاجتماعية بين السكان، مما ترتب عنه وجود الطبقة في المجتمع اليمني القديم، تجسدت مظاهرها في وجود علاقة استغلالية استعلائية بين السيد وعامله أو خادمه أو عبده، الأمر الذي زاد في الهوة بينهما، وهذا نتيجة الثراء الفاحش والبذخ المترف والاستعلاء الذاتي رغم الحاجة الماسة والضرورية المتبادلة بين الطبقة العليا والدنيا داخل المجتمع.

- الطبقة ظاهرة اجتماعية عرفها المجتمع اليمني القديم على غرار الشعوب القديمة، ولم تكن مقتصرة على شعب أو أمة بعينها، وأن عوامل وجودها متداخلة بين رغبة بشرية وموارد مادية.

2/ الفكر في المجتمع : كان المجتمع اليمني القديم أكثر شعوب بلاد شبه الجزيرة العربية تحضراً في العصور القديمة، ففي منطقة جنوب بلاد العرب تمكن أهل اليمن من تأسيس ممالك كبرى تميزت بالتطور الحضاري على المستوى السياسي والاقتصادي وتنظيم الاجتماعي والرفعي الثقافي وتنوع الديني، والنضج الفكري مما أكسبها مدنية مرموقة بين الشعوب المجاورة لها، ولدى الشعوب القديمة الأخرى. وكل هذه الإنجازات الحضارية نتيجة حيوية الفرد اليمني وحيوية مجتمعه الذي انعكس إيجابياً على نتاجه الحضاري، ومن أهم المظاهر الحضارية الحياة السياسية:

اشتهر أهل اليمن ببناء الحصون والقصور، وكانت منتشرة في القرى والمدن وتعرف القصور

باسم (المحافد)، وكان صاحب القصر أو المحفد يعرف بـ: "ذي"، وإذا تجمع عدد من الأذواء أو المحافد في مقاطعة كبيرة سمي مخلاف، وكانت مخاليف اليمن كثيرة، قال اليعقوبي: "أنها ثمانية وأربعون مخلفاً" وكان يتولى شؤون المخلاف شيخ أو أمير يقال له "قيل"، وقد برز عدد لا بأس به وأنشئوا دولاً كبرى¹⁷ أبرزها:

- دولة البنط: يسميها البعض باسم (فوط) والتي قامت في الطرف الجنوبي من البحر الأحمر وعلى جانبي باب المندب، وكان من ملوكها (باريهو) الذي حكم في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد، وذكر هيردوتس أن الملك (ساحورع أو ساهوري) من الأسرة المصرية الخامسة (2743 - 2731 ق. م) قد قاد حملة بحرية بطريق البحر الأحمر إلى بلاد تفيض لبانا على ضفتي باب المندب في الجنوب، وأن الملك المصري سنوسرت الأول (1980 - 1935 ق. م) من الأسرة الثانية عشر قد افتتح الأمصار المتاخمة للخليج العربي، كما قامت الملكة المصرية (حتشبسوت) من الأسرة الثامنة عشر بحملة متكونة من خمسة سفن إلى أرض الأرواح أي النبط للحصول على أشجار البخور والأعشاب الثمينة والجواهر وسنن الفيلة والعنبر، وقد استقبلها ملكها (باريهو) وزوجته (آني)، وقد سجلت الملكة المصرية هذه البعثة على جدران "معبد دير البحري" بالأقصر¹⁸.

- دولة معين: يرجع معظم المؤرخين أن دولة معين قامت ما بين 1300 - 700 قبل الميلاد، ويعتبر المعينيون من أقدم الشعوب التي حملت لواء الحضارة في جنوب شبة الجزيرة العربية، وهم شعب عربي قديم سكن جنوب المنطقة منذ فجر التاريخ. وقد قامت دولة معين في منطقة الجوف بين حضر موت ونجران نظراً لسهولة المكان، وكثرة الأشجار والمراعي ووفرة مياه الأمطار ووجود الأودية، فضلاً على الجبال المحيطة بها من ثلاث جهات مما شكل حماية طبيعية لها¹⁹.

وقد جاء ذكر المعينين في الكتاب المقدس (العهد العتيق) في: "الله أعان عزيا على الفلسطينيين وعلى العرب المقيمين بجوار بعل وعلى المعونيين"، كما جاء ذكرهم في نصب قديم في آثار بابل يعود إلى 2750 قبل الميلاد، نقش عليه أن (نرام سين) قاد حملة على معان وقهر ملكها معنيوم، كما ورد ذكرهم مرة أخرى في آثار بابل مع العماليق عام 2300 قبل الميلاد. وقد اختلف العلماء في بداية نشأت هذه الدولة، فذهبت جماعة إلى أوائل القرن 14 قبل الميلاد، والبعض للقرن 13 قبل الميلاد واستمرت حتى 650 أو 630 قبل الميلاد، ويرجعها البعض إلى القرن 14 قبل الميلاد حتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد. كانت عاصمتهم (قرناو)، ومن مدنها: نشق

وبراقش وكمنّا²⁰.

وقد لقب الملوك المعنيين في بداية عهد الدولة المعينية بلقب (مزود) أي المقدس، ومن الألقاب الملكية يشع أي المنتقد، ويطوع بمعنى المخلص والصدّيق أو الصادق والعاقل والفخور والسامي. وقد ذكر تيودور الصقلي الذي عاش في القرن الأول الميلادي، والجغرافي استرابون (66 - 24 م) وغيرهم أخباراً عن دولة معين²¹. وكذلك لقب (ريام) أي المضيء، وبلقيس أي الشهير، ولقب ياسر بمعنى السعيد. وتشير الآثار المكتشفة أن عدد الملوك ما بين 23 و29 ملكاً من بينهم: * الملك اليفع وقه، وابنيه وقه إيل صديق وأبو كرب يشع * أب يدع يشع - وقه إيل ريام - يشع إيل صديق * يشع إيل ريام، وابنه تبع كرب 650 - 630 قبل الميلاد²².

- مملكة حضر موت: تقع شرق اليمن على ساحل بحر العرب، عاصمة دولتها "شبوّة"، وكانت تعاصر دولة معين وقتبان وسبأ في الفترة الممتدة ما بين 1020 - 290 قبل الميلاد، من أهم ملوكها: * مؤسس الدولة الملك صوفي إيل * يشكر إيل يهرعش بن أبيع * علهان بن يهرعش * العزيزل * يدع آل بين

- مملكة قتيان (1000 - 25 ق. م): قامت في غرب اليمن إلى الجنوب من مملكة سبأ، عاصمتها "تمنع" وهي كحلان الحالية في وادي بيجان، عرفت الحكم الأسري ومن أبرز ملوكها: * يدع أب ذبيان من الأسرة الأولى بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد * أبشيم وابنه شهر غيلان - شهر يميل حكم 300 قبل الميلاد من الأسرة الثانية * هوف عم بوهنعم (100 - 25 ق. م) أول ملوك الأسرة الثالثة، وابنه وروإيل غيلان بوهنعم * فرع كرب يوهو د²³.

- مملكة أوسان (230 - 115 ق. م): قامت جنوب غرب قتيان وسيطرت على القسم الساحلي من الإقليم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، ومن أشهر ملوكها: * يصدق إيل فرعم شرح * عت بن ود الذي حكم 450 قبل الميلاد * معد إيل سلحان بن يصدق إيل * عم يشع غيلان لحي²⁴.

- مملكة سبأ: يرى بعض المؤرخين أن تأسيسها يعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وأما الرأي الثاني يرجع تأسيس المملكة للقرن التاسع قبل الميلاد وبضبط إلى 820 قبل الميلاد، وتذهب الروايات العربية أن سبأ هو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأن سبب تسميته بسبأ أن الرجل أول من سبى من العرب. وفيما يخص نسبه فقد جاء ذلك في كتابة حفرت على النحاس في مجموعة (P. Lamare) وإن كان العلماء لم يقولوا الكلمة النهائية في نوع الكتابة وزمانها. ويذكر

أنه يسمى (الرائش) لأنه كان يعطي الناس الأموال من متاعه، ويزعم البعض أنه أول من توج²⁵. ذكرت النصوص الآشورية السبائية وحاكميين لهم في ثلاث مناسبات ترجع إلى تواريخ مختلفة، حيث نجد نص للملك الآشوري (تجلات بلاسر الثالث 745 - 728 ق. م)، حيث تلقى الملك الجزية السبائية من الذهب والإبل والتوابل، وأكد النص الثاني للملك (سرجون الثاني 722 - 705 ق. م) أنه تلقى من (إني أمر) السبي جزية من الذهب والأحجار الكريمة والأعشاب والخيول، ثم ذكر نص لولده الملك (سنحريب 705 - 681 ق. م) أنه استقبل مندوبا عن الحاكم السبي (كريي إيلو) حمل له جزاءه أو هدايا من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة والطيوب، ووضع جانبا منها بأمر مولاه في أساس المبنى الجديد المسمى (بيت أكتيو) وقد يكون معبدا أو حصنا أو قصرا²⁶.

ومن الإشارات القديمة التي تحدثت سبأ "العهد القديم"، حيث ذكرت: "أن بني سبأ كانوا يزودون الشام ومصر بالطيب"²⁷. كما تذكر المواد المصدرة إليهما كالذهب والأحجار الكريمة، كما وردت إشارة لكلمة (سبو) في نقش سومري للملك (أرد ناتر) ملك أسرة لكش عاصر آخر ملوك أور، وعاش في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد، والتي دلت على أرض السبثيين. وذكر العالم "هومل" عن (سام) التي ترجع إلى أيام الملوك أور بعد سنة 2500 قبل الميلاد بوصفها سبأ التي وردت في العهد القديم²⁸.

وقسم المؤرخون تاريخ سبأ إلى عصرين بارزين معتمدين في ذلك على أن لقب حكام سبأ لم يكن ثابتا إنما كان يتغير من عصر لآخر طبقا لظروف الدولة نفسها، هما: 1 - العصر الأول (950 - 650 ق. م) : كان حكامهم يلقبون فيه باللقب الدين (مكرب)* وتقابله في العربية (مقرب)، وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للآلهة، كما كان يقوم بدور الوساطة بين الآلهة والناس، وهي إشارة إلى القداسة التي يركزون إليها في ممارسة الحكم للولاء سواء من الناحية المدنية أو الدينية. وكانت عاصمتهم مدينة (صرواح) الواقعة بين مدينتي مأرب وصنعاء (مدينة خريبة حاليا) شرق صنعاء²⁹.

2 - العصر الثاني (650 - 115 ق. م) : وفيه نال حكام سبأ لقب (ملك)، وقد بدأ هذا العصر بالمكرب (كرب إيل وتر) الذي حول لقبه إلى ملك، وأصبحت عاصمتهم مدينة (مأرب) الواقعة على بعد 10 كم شرق صنعاء، واتخاذ قصر (سلحين) الشهير قاعدة للسبثيين بدلا من مدينة صرواح، ومن أشهر ملوك سبأ: 1 / ملوك العصر الأول : * سمة على : مؤسس دولة سبأ * يدع

إيل ذريح بن سمة على * يشع أمر * يدع إيل بيت * سمت علي بن بنون بن ذمر * يشع أمر بين * كرب إيل وتر

2 / ملوك العصر الثاني : * كرب إيل وتار * سمة على يعصب * الشرح يعصب * يكر ب ملك وتار * نشأ كرب بها من ³⁰. كما ذكرت المصادر الآشورية نحو ست مأكات عربيات حكمنا منطقة شمال شبه الجزيرة العربية ³¹.

- الدولة الحميرية (115 ق.م - 525 م) : تنقسم إلى عصرين هما : 1 - الدولة الحميرية الأولى (115 ق.م - 300 م) : ينسب الحميريون إلى حمير بن عبد الشمس (سبأ) بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم من القبائل العربية المعروفة في العربية الجنوبية ³². وهو أول من وضع من ملوك اليمن على رأسه التاج من الذهب مفصصا بالياقوت الأحمر، وحكم خمسين سنة وقيل غير ذلك. واستشهد المؤرخ (بليوس) بأقوال القائد الروماني (إيلوس جالوس) وأكد أن السيادة في جنوب شبه الجزيرة العربية لدى بني حمير تحت إمارة ملوك لقبوا بـ (ملوك سبأ ودي ريدان). ويذكر استرابون أن مكرب حاضرة سبأ كانت على أيام الحملة الرومانية على اليمن تابعة لـ (إيل شرح يحضب) ملك سبأ وذي ريدان الذي أطلق عنه استرابون اسم (إلا زاروش)، وقد اتخذ من (ظفار) ^{**} عاصمة لهم، وكان المقر الملكي يدعى (ريدان)، ولذا لقبوا ببني ريدان. وتوسع الحميريون على الحضارمة والقبابيين وبسطوا نفوذاً واسعاً في جنوب بلاد العرب، وأضحوا في عام 70 م قوة كبيرة تسيطر على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى حضرموت وصولاً إلى المناطق الداخلية التابعة لأهل سبأ، وجزء من الساحل الإفريقي، واستولوا على الحبشة في القرن الأول للميلاد. وفي عهد (كرب إيل وتر ينعم) ملك سبأ وذي ريدان الذي أطلق عليه صاحب كتاب (الطواف حول البحر الاريثري) اسم (شريثيل) تطورت أكثر خلال النصف الثاني من القرن الأول للميلاد، ومن أهم الملوك : * يزل بيان * نشأ كرب يمين يرحب * وتر يمين * ياسر يصدق * ذمار علي يحابر ³³.

2 - الدولة الحميرية الثانية (300 - 525 م) : ويعرف هذا العصر باسم (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات)، وأطلق عليه المؤرخين العرب اسم (عصر التبابعة)، ومؤسس هذا العصر الملك (شمر يهرعش) المعروف عند الإخباريين باسم (شمر يرعش بن ناشر النعم) الذي حكم ما بين 270 إلى 310 للميلاد. وقد تميز هذا العصر أن لقب الملك تغير فأصبح الواحد منهم يلقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في المرتفعات والتهائم)، وكذلك

دخول اليهودية والمسيحية إلى اليمن³⁴. ومن أهم ملوك هذا العصر الملك شمر يهرعش، ويريم يرحب بن شمر يهرعش، وفي عهده تمكن النجاشي (الأعميد) ملك الحبشة من غزو مملكة حمير وطردها (يريم يرحب) عام 340 الميلادي³⁵. لكن الثورات الحميرية بقيادة الملك (ملكي كرب بهمن) المعروف باسم (أبو كرب أسعد) انتصر على الأحباش واستعاد السيطرة الحميرية على البلاد سنة 387 للميلاد، وقد خلفه عن الملك (شرحيل يعفر) عام 420 للميلاد، ثم (عبد كلال) المعروف في المصادر باسم (عبد كاليل بن نيوف)، وآخر ملوك حمير (ذو نواس) 510 إلى 525 الميلادي واسمه (زرعة ذو نواس بن تبان أسعد أب كرب) وفي عهده احتل الأحباش اليمن³⁶.

لكن الاحتلال الحبشي واجهته العديد من الثورات اليمنية لكنها فشلت، إلى أن ظهر زعيم وطني من قبيلة حمير اسمه (سيف بن ذي يزن) ويكنى (أبو مرة) الذي طلب المساعدة من ملك الحيرة (النعمان بن المنذر) بالتعاون مع كسرى الفرس الذي وافق على طلبهما مقابل خراج سنوي يحمله (سيف بن ذي يزن) إلى فارس، فقبل ذلك. فوصلت الحملة إلى اليمن وانضم إليها أتباع الملك الحميري، ودارت الحرب ضد الملك الحبشي (مسروق بن أبرهة) وقتل في المعركة وانهزم، وطرده (سيف) الأحباش من اليمن. وبعد مقتل ملك حمير من طرف بعض الخصوم الأحباش، تدخل الفرس بقيادة (وهريز) وأصبح حاكماً مباشراً على اليمن من قبل كسرى حتى الفتح الإسلامي 628 للميلاد³⁷.

الحواشي:

- 1 - محمد عبد الله بحري، تطور نظام الحكم في شبه الجزيرة العربية منذ بدلية العصور التاريخية حتى القرن 3 قبل الميلاد، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - المجمع الثقافي 1428هـ/2007م، ص77.
 - 2 - بلقاسم رحمان، الحضارة اليمنية، ج1، مطبعة بغنيجة - قسنطينة 2010م، ص ص 65-66.
 - 3 - المرجع نفسه، ص 27.
 - 4 - زيد محمد خضر، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، ط1، دار الأندلس لنشر و التوزيع - حائل - العربية السعودية 1426 هـ / 2005 م، ص 73.
 - لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، ط 3، دار النهضة العربية - بيروت 1430 هـ / 2009 م، ص 21.
 - 5 - بلقاسم رحمان، المرجع السابق، ص ص 28-32.
 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص 85.
 - 6 - بلقاسم رحمان، المرجع السابق، ص ص 85-86.
 - 7 - محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية 1409 هـ / 1988 م، ص
- المجتمع والفكر في اليمن القديم _____ د. السعيد شلالة

- ص 136 - 137.
- 8 - بلقاسم رحمان، المرجع السابق، ص ص 67 - 68 و 101.
- 9 - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 139 - 140.
- 10 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ص 371 - 372.
- 11 - بلقاسم رحمان، المرجع السابق، ص ص 68 - 69.
- 12 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ص 375 - 376.
- 13 - محمد عبد الله بحري، المرجع السابق، ص ص 78 - 79.
- 14 - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 145.
- 15 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص 302.
- 16 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 378.
- 17 - علي معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ط 1، دار المنهل اللبناني لطباعة و النشر - بيروت - لبنان 1425 هـ / 2004 م، ص 122.
- 18 - المرجع نفسه، ص ص 178 - 179.
- 19 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص 127.
- 20 - علي معطي، المرجع السابق، ص 179.
- 21 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص 127.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 1، دار النفائس - بيروت 1430 هـ / 2009 م، ص 287.
- 22 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص 130.
- علي معطي، المرجع السابق، 181.
- 23 - محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 291 - 292.
- 24 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص ص 140 - 141.
- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 295.
- 25 - محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط 2، دار المعرفة الجامعية - مصر - القاهرة 2005 م، ص ص 231 - 232.
- علي معطي، المرجع السابق، ص 207.
- 26 - عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية - مصر - القاهرة 1997 م ص ص 43 - 44.
- 27 - العهد العتيق، سفر التكوين - الفصل 10، ص 17.
- 28 - علي معطي، المرجع السابق، ص ص 193 - 194.
- * - المقرب للمعبودات أي المشرف على تقديم القرابين إلى أربابه، و هي إشارة إلى القداسة بالوكالة التي ترتكز عليها في ممارسة سلطاته الدينية و الدنيوية.
- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 49.
- 29 - توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط 2، دار الفر دمشق - سوريا 1996 م، ص 73.

- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 239.
- 30 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص ص 143 - 147.
- 31 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ص 41 - 42.
- 32 - محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 304.
- ** - منطقة خصبة قرب مدينة بريم الحالية، وحتها عدة حصون قامت على التلال التي تحيط بها، و كان حصن ريدان أكبرها فأصبح حصنها الملكي.
- صالح عبد العزيز، المرجع السابق، ص 108.
- 33 - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 240.
- علي معطي، المرجع السابق، ص ص 206 - 209.
- 34 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص ص 153 - 154.
- 35 - صالح عبد العزيز، المرجع السابق، ص 107 و بعدها.
- 36 - محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 309 - 313.
- 37 - زيد محمد خضر، المرجع السابق، ص ص 154 - 160.
- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 335 و 346.
- بلقاسم رحمان، المرجع السابق، ص 132.

Society and thought in ancient Yemen

Dr. Said CHELELGUA*

ABSTRACT :

Old Yemeni society is one of the most prominent of Ancient Arabia, which has standing civilized societies, where known social structure diversity in hierarchical components, and this is what contributed to the presence of a lot of ideas that led to the product of a sophisticated civilization appears on but not limited to the political thought.

Keywords: Yemen, ancient history, the Arab civilization, political thought, society.

- Maître de conférence b - Faculté des sciences sociales et humaines - Université d'El-oued.